



ثقافات المدن

المحاضرة الثالثة

باعتقاد كتاب جغرافية الحضرة الاجتماعية
لمؤلفيه : بول نوكنس و ستيفن بنج

ترجمة بتصريف
أ.د. مضر خليل عمر الكيلاني

- ما هي الثقافة؟
 - لماذا التخوف من دراسة ثقافة المدينة؟
 - ما دور فضاء المكان في تشكيل الثقافة؟
 - ماذا يقصد بمدينة ما بعد الحداثة؟
 - ماذا يجعل المدن مثيرة للاهتمام بشكل خاص في العالم المعاصر؟
- لا شك أن أهم تغيير في الدراسات الحضرية في السنوات الأخيرة هو الاهتمام المتزايد بقضايا الثقافة \ الحضارة . يعكس هذا التطور اتجاهاً أوسع في العلوم الاجتماعية بما أصبح يعرف باسم "المنعطف الثقافي" . فخلال العقد الأخيرين ، أثر الانعطف الثقافي بشكل جذري على دراسة ثقافات المدينة والحضارات الفرعية التي تحتويها ، مما أثر على ما تمت دراسته وطريقة فحص المدن وتحليل معطياتها . كما اقترحت جدلية المكان الاجتماعية ، فإنه قد كان للمدن ومنذ زمن بعيد تأثيراً حاسماً على الديناميات الثقافية والتي بدورها تأثرت بالمدن بالمقابل بها .

ماهي الثقافة ؟

عند عامة الناس تعني الثقافة \ الحضارة "فن راق" يأخذ صيغ رسوم ، نحت ، دراما و موسيقى ، ما هو محفوظ في قاعات المتاحف و الأروقة الفنية و ما تصدح به صالات الموسيقى ويعرض في المسارح . وفي العلوم الاجتماعية فان الثقافة تفسر بمنظور أوسع من ذلك . فهي ظاهرة معقدة و لهذا يصعب تلخيصها بكلمات قليلة ، ولكنها تتضمن "طرائق معيشة المجتمع " ايضاً . وتضم هذه الطرائق ثلاثة عناصر ، هي:-

(١) القيم التي يحملها الناس (مُثلهم وطموحاتهم) . يمكن أن تشمل هذه القيم : الرغبة في الحصول على الثروة والسلع المادية ؛ البحث عن المخاطر والمجازفات ؛ رعاية الأسرة ؛ مساعدة الأصدقاء والجيران ؛ أو شن حملة من أجل التغيير السياسي .

(٢) القواعد التي يتبعها الناس وتضبط سلوكياتهم (أي القواعد والمبادئ التي تحكم حياتهم) وتشمل هذه القضايا القانونية مثل ما إذا كان ينبغي تجاوز حدود السرعة عند القيادة أو ما إذا كان

ينبغي الانخراط في سياقات غير قانونية للتهرب من الضريبة . القواعد تشمل أيضا قضايا السلوك الشخصي مثل ما إذا كان يجب أن يكون مخلصًا لشريكه أو ما إذا كان ينبغي تقديم الذاتي على احتياجات الآخرين .

(٣) الأشياء المادية التي يستخدمها الناس . بالنسبة لمعظم الناس في المجتمعات الغربية الغنية نسبياً ، هذه فئة واسعة ، تتراوح من السلع الاستهلاكية اليومية وصولاً إلى أنظمة النقل والمباني والمرافق الحضرية ، يتدفق عدد من الأفكار الهامة من هذه النقاط .

مادية الثقافات

من الواضح ان عناصر الثقافة (القيم ، المعايير ، والاشياء) مترابطة فيما بينها بدرجة كبيرة . فالثقافة \ الحضارة ليست مرهونة بالافكار و الاشياء المادية التي تستخدم لتوفر مؤشرا على منظومة القيم فحسب . فالاستعمال الواسع للسيارات ، على سبيل المثال ، له ما يعنيه من حرية الحراك الشخصي ، وكذا الامر مع المظاهر الارضية في الحضر . فتركيبية المدن ، فيما اذا كانت تعتمد طرقا واسعة بشكل كبير او منظومة متكاملة للنقل العام او لها امتداد حضري غير مسيطر عليه ام انه متكامل بشكل متين وبسياقات تنميات عالية الكثافة ، انها جميعا توفر مؤشرات تعبر عن سلسلة واسعة من قيم المجتمع ونوعية حضارته .

فبالامكان قراءة قيم الناس من المظهر الارضي الذي يعيشون فيه ، والتي ينظر لها كنصوص يمكن تفحص معانيها العميقة كما هو الامر مع صفحات الكتب . والعلاقة بين الاشياء المادية و الثقافة يمكن تغليفها بمفهوم الوطنية . وهذا المفهوم يوصلنا الى حقيقة ان الاشياء تستمد قيمتها من خلال استخدامها و ما يضيف عليها الناس . باختصار ، الثقافة تشمل اكثر من الفن الراقي . في الواقع فان دراسات الثقافة تعتمد اي تمثيل ذي معنى و يدخل في الاعلانات ، وبرامج التلفاز الشعبية ، والافلام و الموسيقى الشعبية و حتى الطعام .

المعاني المشتركة

تُشكّل مجموعات المفاهيم المشتركة بين الثقافات ، بما يسمى بالخطابات أو الروايات ، وتُعرف دراسة العلامات التي تعطي أدلة حول هذه المعاني بالسيمولوجيا (أو السيميائية) . وتسمى الأشياء التي تشير إلى هذه المعاني الأوسع دلالات ، بينما يسمى المعنى الثقافي بالمعنى . وتُعرف الأنشطة المليئة بالرمزية الثقافية (التي تشمل جميع الأنشطة الاجتماعية تقريباً!) باسم ممارسات الدلالة . وتعرف دراسة المعاني الكامنة وراء المظاهر العمرانية الحضرية باسم الأيقونية . مثال جيد على الأيقونات هو مقر الشركة في وسط المدينة .

قد يُنظر إلى الأشكال المعمارية الضخمة والمكافئة كعلامات و كخطاب يعبر عن قوة الشركات . وغالباً ما تسمى المشاريع المعمارية الكبيرة المليئة بالرمزية بالعمارة الأثرية . فمفهوم العمارة الأثرية ينطوي على فرض المباني والمعالم الأثرية التي تمثلها لترمز إلى مجموعات معينة من القيم . وغالباً ما يكون الوصول مقيد إلى هذه المباني معبرا عن حالتها الضخمة والفريدة . فعلى سبيل المثال ، قامت جين إم جاكوبس بتوثيق التطلعات الإمبريالية التي تقوم عليها العديد من المقترحات لإعادة تطوير المباني في المركز المالي في لندن . حيث يُنظر إلى الحفاظ على التراث المعماري للمباني التي يرجع تاريخها إلى الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية البريطانية في أوجها كوسيلة لتعزيز الوضع العالمي لمدينة لندن .

التنوع والاختلاف

وبالامكان "قراءة" قيم الأشخاص من المظاهر العمرانية التي يعيشون فيها ، والتي يمكن عدّها "نصوصاً" يمكن فحصها لاحتوائها على معنى داخلي ، بطريقة مماثلة لقراءة كتاب . واحدة من أكثر المواجهات إثارةً وتوثيقاً للثقافة الحضرية تأتي من لندن - في دوكلاندز ، (احواض ومراسي السفن التي هجرت للتغيرات التقنية) وهي منطقة وسط المدينة التي تحولت

من خلال مشروع تطوير حضري يوفر البنية التحتية لتشجيع استثمارات القطاع الخاص في هذه المنطقة . لذلك تعد المباني الضخمة في كناري وارف في دوكلاندز في لندن رمزية للغاية لهذا الدور الجديد لرأس المال ودوره الخاص في التجديد الحضري . ومع ذلك ، فقد تبلورت التطورات في مكاتب دوكلاندز إلى جلب الثراء بجانب الفقر النسبي حيث انتقلت المجموعات المهنية عالية الأجر إلى المناطق السكنية التي تم بناؤها حديثاً هناك . علاوة على ذلك ، ينطوي تطوير دوكلاندز على تجاوز الأشكال التقليدية للمساءلة الديمقراطية . في حين تم عقد اجتماعات عامة ، وإعطاء هالة من التشاور والإدراج ، وكانت تستخدم عادة قرارات التخطيط المشروعة التي اتخذت بالفعل وراء الأبواب المغلقة . وكانت النتيجة عداء عميق الجذور من جانب العديد من مجتمعات الطبقة العاملة المحلية .

وقد دفعت هذه الخصومات إلى محاولات في العديد من المدن لكتابة التاريخ الحضري من منظور السكان المحليين . تتناقض هذه الروايات مع الإصدارات المطهرة من التاريخ المحلي التي تنتجها شركات التنمية وهي تحاول بيع المدن الداخلية كمواقع للربح المحتمل للمضاربين . يستنتج من المناقشة أعلاه أن القيم المجسدة في المظاهر العمرانية وغيرها من الأشياء المادية غير الطبيعية التي لا مفر منها ، وتم إنشاؤها تعاني من نشاط العديد من الجماعات المتنافسة في المجتمع . ومع ذلك ، فإن المجموعات المهيمنة من القيم تميل إلى التعبير عن أقوى القوى في المجتمع من خلال الإعلان والسياسة و وسائل الإعلام وأنظمة التعليم وما إلى ذلك .

تفترض تدوينات الفضاءات والأشخاص المتضمنة في المظاهر العمرانية الحضرية إماماً له تأثيره الثقافي والسياسي القوي : مظاهر عمرانية ذات طبيعة خلابة ، وأحياناً مهلوسة ، تعكس وتعزز القيم الضمنية التي تمت كتابتها في بنية البيئة المبنية . كما لاحظ بيير بورديو ، "إن التأثيرات الأيديولوجية الأكثر نجاحاً هي تلك التي لا تحتوي على كلمات ، ولا تطلب أكثر من الصمت الضمني" .

الموضوع الرئيسي للدراسات الثقافية هو التنوع والاختلاف . فضمن القيم السائدة في المجتمع ، العديد من المجموعات الفرعية الأصغر مع ثقافتها المميزة ، والمعروفة باسم الثقافات \ الحضارات الفرعية (وأحياناً هذا الاختلاط يتطلب رداً من ساكن المدينة) ، سواء كان هذا من اللامبالاة أو الخوف أو الكراهية أو عدم الفهم أو الإعجاب أو الحسد . تستند هذه المقارنات في بعض الأحيان إلى صور نمطية - تفسيرات مبالغ فيها أو مبسطة أو مشوهة - للمجموعة قيد التقصي . في الواقع ، فإن استخدام الثنائيات - تقسيمات ذات شقين - غالباً ما يكون أساسياً لإنشاء هذه الاختلافات (على سبيل المثال ، ذكر - أنثى ، صحي - مريض ، عاقل - مجنون ، متباين الجنس - مثلي الجنس ، غير أجنبي /- أجنبي ، أصيل- مزيف).

علاوة على ذلك ، تكمن قضايا القوة وراء العديد من هذه المقارنات . فغالباً ما نشعر بالتفوق أو أقل من المجموعة التي نقارن أنفسنا بها . وفي بعض الأحيان تكون العملية التي يتم بموجبها النظر إلى المجموعة بطريقة تجعلها أقل شأناً . لذلك ، لا تتطور الهويات والقيم الثقافية بمعزل عن غيرها ، ولكنها تتطلب معارضة من مجموعات أخرى من الهويات والقيم المستبعدة والمتنازلة في نوع من التسلسل الهرمي للقيمة . هذه العمليات هي التي تؤدي إلى تشكيل الهوية ويمكن أن يكون لها تأثير حاسم على الجغرافية الاجتماعية للمدينة ، فهي تساعد على خلق استبعاد اجتماعي وتمايز سكني على هذا الأساس . وقد تكون عمليات صياغة الهوية متعددة وغير مستقرة ، لكنها راسخة في علاقات القوة وتخصيص الموارد المادية والسياسية والنفسية في المدن .

نظرية ما بعد الاستعمار والمدينة

بعض الأفكار الأكثر أهمية في عملية تشكيل الهوية جاءت من نظرية ما بعد الاستعمار . ينصب التركيز هنا على دراسة الخطابات الإمبريالية التي تمر عبر التمثيلات الغربية للمدن والمجتمعات غير الغربية . على هذا النحو ، فإنها محاولة لتقويض الإثنية - فكرة أن الفكر الغربي هو أعلى . وغالباً ما يطلق على الأشخاص الخاضعين لمثل هذه الخطابات المهيمنة ، اسم

الطبقات أو المجموعات الفرعية . كتب إدوارد سعيد عن الطرق التي بنى بها الفكر الأوروبي وجهات نظر الشعوب الشرقية في كتابه الاستشراق المؤثر للغاية . قال سعيد إن فكرة المشرق هي اختراع غربي يستحضر رؤى الشعوب الغربية والحسية . النقطة الأساسية هي أن هذا المفهوم للمشرق قد تم تحديده بالنسبة إلى ما يسمى بالثقافات الفرعية "المنحرفة" إذا كانت المعايير تتعارض بشكل كبير مع (الأغلبية) . يستخدم المصطلح "تبديل" أحياناً للدلالة على ثقافة مختلفة تماماً عن الثقافة التي تعارضها وخارجها تماماً . ومع ذلك ، حتى داخل هذه الثقافات الفرعية هناك عادة العديد من الفروقات والانقسامات . ففي المملكة المتحدة ، على سبيل المثال ، ما يشار إليه غالباً في الصحافة المحلية باسم "المجتمع المسلم" يحتوي على طوائف وتجمعات مختلفة . كما هو الحال مع المظاهر العمرانية ، غالباً ما يتم تحديد تعريفات لهذه المجموعات من قبل الأقوى في المجتمع .

الكيونة (أداة التعريف)

إن تنوع القيم الثقافية في المجتمع يثير قضايا الهوية (أي الرأي الذي يأخذه الناس بأنفسهم) . هناك منظور يعود إلى الفيلسوف ديكرت ، والذي يفترض أن هويات الناس واحدة وعقلانية ومستقرة . ومع ذلك ، فإن هذا الافتراض موضع خلاف من منظور الدراسات الثقافية . بادئ ذي بدء ، يقال إن هوياتنا تتشكل بعدة عوامل مثل الطبقة والعمر والمهنة والجنس ، الجنسية ، الانتماء الديني ، منطقة الأصل ، وهلم جرا . تحيط بهذه العوامل العديد من الخطابات حول الخصائص والقدرات - ما يسمى بمواضع الموضوعات - والتي تؤثر على الطريقة التي نتصرف بها . وصف داوولينج هذه المواضع الموضوعية بأنها : طرق معينة للعمل والتفكير والضمير في خطابات معينة وفي إدراك أنفسنا في هذا الخطاب بحيث يأخذ الشخص خصائص معينة ، وبالتالي ينتج شخصاً له سمات محددة وقدرات معينة . وبالتالي ، يمكن القول بأن الهوية تتشكل من خلال تقاطع العديد من المواضع . بالطبع ، تتشكل هذه الآراء إلى حد كبير أيضاً من خلال الشخصيات الفردية وتجارب الحياة . كل هذه الأشياء تتحد لتشكل الذات أو وهي تتغير باستمرار ، وكذا الشخصيات . إحدى النتائج هي أن هوياتنا ليست ثابتة ، فهي تختلف مع الوقت والمكان . النقطة الأساسية هي أن هذه الهويات والخصوصيات غير المستقرة تعتمد على من نحن ومن نقارن أنفسنا به ، وماذا نريد ان نكون عليه .

للبيئات الحضرية أيضاً تأثير حاسم على الخصوصيات لأنها تميل إلى التقريب بين العديد من أنواع الأشخاص المختلفين . مفاهيم الغرب على عكس ذلك - عقلاني ، متحضر وآمن . بمعنى آخر ، ساعد المشرق في تحديد وجهة نظر الغرب عن نفسه . ومع ذلك ، تم انتقاد عمل سعيد لأنه خلق انقساماً ثنائياً بين المستعمر والمستعمر وافتراض أن الخطاب الاستعماري هو نتاج المستعمر في المقام الأول . جادل آخرون أن هناك تفاعلاً متبادلاً بين المستعمر والمستعمر . إن الأفكار المستقاة من نظرية ما بعد الاستعمار لها قيمة في دراسة المدن الغربية لأن فيها العديد من حركات المهاجرين . وفي عالم مختلف ، يمكن الإشارة إلى أن الرغبة الخاطئة في الموسيقى "الأصيلة" و "العرقية" تعكس بعض الثقافة الخالصة الأساسية ، غير الملوثة ويفسر الطابع التجاري للمجتمع الغربي الكثير شعبية والذي ما يسمى بالموسيقى "العالمية" في كثير من الأحيان ، أدى الاختلاط الهجين بين الثقافات الحضارات - وخاصة في سياق الاستعمار - إلى ازدواجية ، وهي مزيج معقد من الجاذبية والصدام من جانب المستعمرين و المستعمر . كان المستعمرون ، على سبيل المثال ، يشعرون بالرضا لنسخ ثقافتهم من قبل المستعمرين ولكن في الوقت نفسه لا يريدون أن يتم تكرارها بالكامل لأن هذا من شأنه تفويض شعورهم بالتفوق . غالباً ما كان المستعمرون يعجبون بالثقافة الاستعمارية ونسخوها (وهي عملية تسمى الاستيلاء) ولكن في الوقت نفسه كثيراً ما يستاء من موقفهم القاهر . في الواقع ، قد يجادل الكثيرون بأن التمييز بين الغرب و "البقية" قد تم تخريبه من خلال ضخ الأفكار من جميع أنحاء العالم إلى قلب المدن الغربية الكبرى .

جادل بهبها بأن الثقافة الاستعمارية لا تتسخ أبدًا بالضبط ، وبالتالي يحدث نمو بالتهجين . في الواقع ، يمكن أن يؤدي الاستيلاء في بعض الأحيان إلى تقليد - محاكاة ساخرة أو تشويش للثقافة الاستعمارية . المثال الكلاسيكي للتقليد هو تبني الموظف المدني الهندي آداب البيروقراطية الإنجليزية . هذا يحتمل أن يهدد المستعمرين منذ ذلك الحين فالمحاكاة ليست بعيدة عن السخرية ولديها القدرة على تفويض السلطة الاستعمارية . النقطة العامة التي يجب الإشارة إليها هنا هي أن هذه العمليات تستمر في حقبة ما بعد الاستعمار وأن جميع الثقافات هي نتاج الاعتمادات في شكل ما التقليد والتهجين . وبالتالي فإن التهجين ليس مجرد مزيج من الثقافات - إنه ينطوي على زعزعة استقرار العديد من رموز السلطة في الثقافة السائدة .

الفضاء والقوة والثقافة

من الأفكار الأخرى التي تتبثق عن دراسة ثقافة - حضارة مجتمعات المدن ، الدور الحاسم للفضاء في تشكيل تلك الثقافات . سبب هذا الاتصال هو أن الفضاء ، مثل الثقافة ، هو بناء اجتماعي وبالتالي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقوة والسلطة الحاكمة .

البناء الاجتماعي للفضاء

الفضاء هو شيء نتحرك فيه ونأخذة غالبًا كأمر مسلم به لذلك ليس من المستغرب أن البعض يشك في فكرة أن الفضاء هو أكثر من مجرد "حاوية فارغة" ، حيث يبدو أن هذه الفكرة تتعارض مع المنطق السليم . ومع ذلك ، تقدم المدن العديد من الأمثلة عن العلاقات بين الثقافة والفضاء والقوة وبما يساعد على توضيح المقصود بالفضاء كونه "بناء اجتماعي" . فعلى سبيل المثال ، يتم استبعاد بعض الأشخاص من الأماكن العامة . في المدن المعاصرة تتخذ تدابير لاستبعاد مجموعات معينة ، بما في ذلك عصابات من الشباب ، والسكري ، والمشردين و "المنحرفين" ، مثل أولئك الذين يبدو أنهم مصابون بأمراض عقلية من الأماكن "العامة" . وعلى سبيل المثال ، كيف يتم حماية الأماكن العامة لمكتبة فانكوفر العامة الجديدة بواسطة حراس الأمن لضمان معايير النظافة بين المشردين وكذلك توفير شعور بالأمان للنساء والأطفال . السبب في استبعاد هذه المجموعات هو أنها تعطل بعض مدونات السلوك : الرصانة والنظافة وما إلى ذلك . وفي العديد من الحالات ، من المتصور أن هذه المجموعات من المحتمل أن تعطل قواعد السلوك الرصين أيضا .

لذلك ، تعزز الفضاءات الثقافية (الاجواء الحضارية) لأن أنماط السلوك المتوقعة فيها تعكس قيمًا ثقافية معينة . وبالتالي ، فإن الفصل أمر حاسم في إنشاء المظاهر العمرانية والفضاء ، وخلق ما يمكن تسميته مسافات الاستبعاد . ويتم التعبير عن السلطة من خلال احتكار بعض المجموعات للمساحات واستبعاد بعض المجموعات للأضعف لصالح مجموعات أخرى .

الفضاء والهوية

لذلك ، يعد الفضاء أمرًا هامًا لجميع عمليات تكوين الهوية ، وبناء الصور النمطية ، والموضوعية والبناء الثنائي المذكور أنفاً . غالبًا ما يستخدم مصطلح الخصوصيات المكانية لوصف العمليات التي تؤدي إلى تكوين الهوية . ومرة أخرى ، لعبت المدن دورًا مهمًا في تشكيل مثل هذه الهويات . والجدير بالذكر أن تصور الطبقات العاملة بأنها قذرة وملينة بالأمراض وخطيرة تعززها الفضاءات التي يعيشون فيها ويعملون . ومع ذلك ، غالبًا ما يتم اعتبار علاقات القوة هذه جزءًا "طبيعيًا" من الروتين اليومي للحياة . وهذا يؤدي إلى الإمبريالية الثقافية ، حيث تصبح علاقات القوة المهيمنة في المجتمع "غير مرئية" بينما يتم تمييز المجموعات الأقل قوة بأنها "أخرى" . الإمبريالية الثقافية شائعة جدًا في مناقشات الهويات العرقية . ينصب التركيز في كثير من الأحيان على الخصائص المميزة لمجموعة الأقلية العرقية وليس على المجتمع الأوسع أو على معنى "البياض" ، على سبيل المثال ، بزيادة الفصل المكاني بين الطبقات التي ظهرت مع المدن الأولى للصناعة . لفت ريتشارد سينيت الانتباه إلى هذه القضايا في كتابه المؤثر للغاية "استخدامات الاضطراب" الذي استخدم فيه مصطلح "المجتمعات النقية" للفت الانتباه إلى الطرق التي تبني بها المجموعات الجدران حولها لاستبعاد الآخرين .

مرة أخرى ، يمكننا أن نرى الجدلية الاجتماعية المكانية في العمل هنا . من ناحية ، قد تكون منطقة المدينة بمثابة بيئة اجتماعية يمكن فيها التعبير عن قيم ثقافية معينة ؛ من ناحية أخرى ، يمكن للجوار أن يعمل على تشكيل تلك القيم الثقافية المميزة . ومع ذلك ، من المهم أن نتذكر في هذه المرحلة أن ثقافات المدينة لا تظهر في هذه الأماكن بمعزل عن غيرها . حيث لا يتم تعريفها فيما يتعلق بالثقافات في المناطق الأخرى فقط ولكن أيضًا تنطوي على مزيج هجين من عناصر مختلفة عن أماكن أخرى . على سبيل المثال ، حتى الشيء التقليدي مثل طبق - السمك والبطاطا - دليلًا رائعًا على التهجين الثقافي الانكليزي . حيث تعد الرقاقة الإنجليزية الكبيرة (البطاطا الفرنسية المقلية) سليلًا مباشرًا من فريت بوم الذي أدخله لأول مرة إلى إنجلترا هوجوينوتس من فرنسا ، في حين تم جلب السمك المقلي من قبل اليهود الأوروبيين الروس . في الواقع ، تُظهر الدراسات الاستقصائية الحديثة أن الطبق الأكثر شعبية في بريطانيا لم يعد السمك والبطاطا ، ولكن طبق "على طراز الكاري" يسمى دجاج تيكا ماسالا ، وهو مزيج هجين تمامًا له علاقة عابرة بقلعه الهندي المفترضة .

في الواقع ، ثمة مفارقة أخرى هي أن المطبخ "الهندي" الشهير في المملكة المتحدة هو إلى حد كبير نتاج الطهاة من بنغلاديش . تاريخ الفضاء المعين هو بالتالي عن كثب متصل مع الأحداث خارج الفضاء نفسه . كما لاحظ ماسي : نحن بحاجة إلى تصور الفضاء على أنه مبني على مجموعات من العلاقات المتبادلة ، مثل التعايش المتزامن للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية على جميع المستويات المكانية ، من الأكثر محلية إلى الأكثر عالمية .

تعني المظاهر العمرانية بنية اجتماعية للفضاء ، وأن المدن هي ، إلى حد ما ، نصوصا يعاد كتابتها بمرور الوقت . لذلك يمكن استخدام مصطلح البرمجة النصية لوصف هذه العملية حيث "ننتج" أو "نبني" مدنا من خلال عروضنا . هذا لا يعني أنها يمكن أن تكون أي شيء نختار صنعه . فالمدن تتميز بسمات مادية واضحة تقيد وتؤثر في كيفية تقديمها ، لكن مع ذلك ، فإن هذه التصورات قابلة للتيسر تمامًا . يتضح هذا بشكل جيد من خلال التمثيلات المتغيرة مع مرور الوقت في إيست إند (الطرف الشرقي) الفقيرة في لندن . في القرن التاسع عشر ، كان يُنظر إلى الطرف الشرقي للمدينة على أنه مكان خطير ، ولكن منذ التسعينيات من القرن التاسع عشر وما بعده ، تحت تأثير العديد من العوامل - حركات الإصلاح الحضري ، حزب العمل ، الكنيسة ، التعليم الحكومي ، إعادة بناء المساكن والتمثيل في قاعات الموسيقى - تحول الطرف الشرقي إلى كوكب وطينة مبهجة .

ومع تدفق الأقليات العرقية ، وخاصة من بنغلاديش ، ونمو التاتشيرية (مسبة الى ماركرت تاتشر) في الثمانينات ، أصبحت المنطقة "مجتمعًا متخيلاً" يعتمد على رجال الأعمال . يمكن الاطلاع على أمثلة أخرى لتغيير صور المدن في محاولات الهيئات العامة "لإعادة تصنيف المدن" وجعلها جذابة للمستثمرين . ففي الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص ، أصبح الترويج للمكان (أو تسويق الأماكن) صناعة تدر مليارات الدولارات حيث يتخصص الاستشاريون وشركات العلاقات العامة في تغليف المدن والإعلان عنها وبيعها . أدت عمليات العولمة إلى تآكل بعض هذه الروابط بين الثقافة والإقليم . والسبب في ذلك هو أن التكنولوجيات الجديدة لوسائل الإعلام والاتصالات السلكية واللاسلكية قد مكنت الشركات عبر الوطنية (عابرة الحدود) من فرض ما يصفه روبنس بأنه "مساحة إلكترونية مجردة" عبر أشكال ثقافية سابقة . هذا ملحوظ بشكل خاص في صناعات الأفلام والموسيقى ، حيث يتم مشاهدة نجومهم في وقت واحد في جميع أنحاء العالم . ويتم بناء الجماهيرية حول تجارب مشتركة على نطاق عالمي ، والثقافة تعتمد بشكل أقل فاقل على أشكال المعرفة المحلية . وتسمى هذه العملية التي تتآكل فيها الثقافات المحلية بفعل عمليات العولمة في بعض الأحيان باسم إلغاء الحكم . ومع ذلك ، قد يجادل كثيرون بأن هذا الاتجاه نحو التقليل من الثقافة يمكن المبالغة فيه . في الواقع ، لقد رأينا مؤخرًا تأكيدًا مجددًا لأشكال الهوية المحلية من خلال مختلف الحركات القومية وأشكال التعبير الثقافي

المميزة في الأماكن داخل المدن - ربما إلى حد كبير كرد فعل على التهديد المتصور لبعض الثقافة الجماهيرية الخارجية .

الثقافة ، إذن ، ليست حكرًا على مجموعات النخبة في المجتمع ؛ إنها شيء من حولنا في السلع الاستهلاكية والمظاهر العمرانية والمباني والأماكن . علاوة على ذلك ، هي في القيم المجسدة في اللغة وغيرها من أشكال التمثيل . النقطة الأساسية هي أن معلوماتنا عن العالم يتم دائما تصفيتها من خلال وجهات نظر معينة . إن ما يزعم أنه وسيلة متفوقة لفهم العالم هو في كثير من الأحيان محاولة من جانب مجموعة واحدة لفرض فهمها على الآخرين . بسبب هذا ، يركز ما بعد الحداثة على طرق ونظم التمثيل بدلا من الواقع نفسه . لذلك يجادل ما بعد الحداثة أن النظريات (أو "ادعاءات المعرفة") مرتبطة بالقوة - إنها تمثل محاولة لفرض وجهات نظر على الآخرين . جادل انصار ما بعد الحداثة أنه ليس هناك طريقة واحدة فعالة لتحليل العالم (ما يسمى أحيانا خطأً تدريجياً أو كلياً). بدلاً من ذلك ، هناك العديد من الطرق المختلفة لتمثيل الحقيقة ، اعتماداً على علاقات القوة المعنية . يجب أن نلاحظ في هذه المرحلة أن صحة ما بعد الحداثة مشكوك فيه كثيرا . وقد اعترض الكثيرون على ما بعد الحداثة بسبب تداعياتها على النسبية الأخلاقية - مما يشير في بعض الأحيان إلى الرضا عن أنشطة وتجارب وظروف معيشة الآخرين . في الوقت نفسه ، يجادل جيدنز بأن المجتمعات المعاصرة ، بدلاً من كونها ما بعد الحداثة ، تعكس حداثة متأخرة ، تتميز بدرجة شديدة من الانعكاسية الفردية ، حيث يدرك الناس بشكل متزايد المواقف التي يتبنوها والخيارات التي يتخذونها في حياتهم اليومية ويصبحون أنفسهم أيضاً انعكاسية لها .

المدينة وما بعد الحداثة

من السمات الرئيسية لتفكير ما بعد الحداثة ، والتي تتماشى مع حركة الدراسات الثقافية ، الاعتراف بتنوع المجموعات واختلافها في المجتمع الواحد . فتنوع المجموعات وتطلعاتها لا ينعكس فقط في الكتابة الأكاديمية ولكن أيضاً في الأشكال الشعبية للتمثيل مثل الموسيقى والإعلان والأدب وغيرها . من حيث المظاهر العمرانية للمدن ، على سبيل المثال ، تنعكس ما بعد الحداثة في مجموعة متنوعة من الأساليب المعمارية بدلاً من المظهر المستقيم للأنماط الحديثة . قد تتراوح أنماط ما بعد الحداثة من "التكنولوجيا المتقدمة" إلى الكلاسيكية الجديدة وغالباً ما تتضمن مزيجاً انتقائياً من العديد من الزخارف المختلفة . وغالباً ما يحاول تصميم ما بعد الحداثة أن يكون مرحاً أو يلمح إلى طبقات من المعاني . في حين أن الهندسة المعمارية والتخطيط الحضري للمدينة الحديثة يعكسان السعي لتحقيق التقدم ، فإن المباني المعاصرة ليست شيئاً ثابتاً ، ولكنها مجال يتطور باستمرار ويتنازع عليها ، وهو ما يزال حياً في اللغة والممارسات الاجتماعية اليومية .

ما بعد الحداثة

تتمثل إحدى طرق تلخيص التحولات الثقافية الحديثة في المدن في مفاهيم الحداثة وما بعد الحداثة . يمكن استخدام مفاهيم الحداثة وما بعد الحداثة بطرق معقدة كثيرة ، منها :- النمط الثقافي ؛ كوسيلة للتحليل ؛ أو كعصر تاريخي . يجادل كل من هارفي وجيمسون بأن ما بعد الحداثة هي الشريك الثقافي المنطقي لنظام التراكم المرن . فلا تساعد ثقافة ما بعد الحداثة على إنتاج العديد من الأسواق المتخصصة المتنوعة فحسب ، بل إنها تميل إلى إنتاج مجموعة من الناس المفترض أنها سحرتهم بسحر الاستهلاك وتفنقر إلى المؤسسات الجماعية لتوجه تحديا للقوى المهيمنة في المجتمع .

لفهم كيفية استخدام هذه المفاهيم ، نحتاج أولاً إلى دراسة مفهوم الحداثة . عادة ما تُعد الحداثة حركة ثقافية وفلسفية واسعة النطاق ظهرت مع عصر النهضة ، والتي بدأت توتّي ثمارها بالكامل في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . قبل كل شيء ، كانت تتميز بالاعتقاد بأن تطبيق الفكر العقلاني والتحليل العلمي يمكن أن يؤدي إلى تقدم عالمي . وأدى ذلك في النهاية إلى الهندسة الاجتماعية ، وهي فكرة أن المجتمع يمكن تحسينه من خلال التخطيط

الشامل الرشيد وتطبيق المبادئ العلمية في ادارة الدولة وتنظيمها . كانت هذه الفلسفة ضمنية في التجديد الحضري الشامل (أي إزالة الأحياء الفقيرة) وبرامج إدارة المرور داخل المدن في الستينيات . وبالمثل ، يمكن عد الحداثة أساساً للنهج الكمية والسلوكية . ومع تقدم القرن العشرين ، إلا أن الحروب والمجاعات والقمع السياسي وخيبة الأمل مع التكاليف الاجتماعية والبيئية للتكنولوجيات المتقدمة ومحاولات التخطيط الشامل أدى إلى درجة كبيرة من خيبة الأمل مع مفهوم الحداثة .

من السمات الأساسية لما بعد الحداثة أنه لا توجد تجربة محضة وفورية وغير ماهرة - فكل تجاربنا تتم بوساطة مجموعات من الاستهلاك الثقافي ، المتعة ، وخلق ربح مع القليل من الاهتمام بالتبعات الاجتماعية . وهناك موضوع رئيسي آخر لتفسيرات ما بعد الحداثة . فللمدينة أهمية متزايدة من علامات وصور في الحياة اليومية . جادل الكاتب البارز في ما بعد الحداثة (Baudrillard 1988) أن ثقافة ما بعد الحداثة تستند إلى صور أو نسخ من العالم الحقيقي (المعروف باسم simulacra) حيث تأخذ حياة خاصة بها ويصعب تمييزها عن الواقع المقلد ، إن لم يكن مستحيلاً . . .

ميزة أخرى لثقافة ما بعد الحداثة هي أن الإعلانات ووسائل الإعلام تنتج علامات وصوراً لها معاني داخلية خاصة بها ، مما ينتج عنه ما يسمى الواقعية المفرطة . قد يطلق على البيئة التي يهيمن عليها الواقع الزائد مساحة كبيرة . ربما تكون حدائق ديزني لاند هي المثال الأكثر تطرفاً وضوحاً على هذا الواقع المفرط لأنها تقدم رؤية غير صحية ومهددة للعالم تمجد الوطنية والقيم الأسرية التقليدية والمشاريع الحرة التي تتحدث عن قضايا العنف والاستغلال والصراع . هذا الخلق الواعي للبيئات أطلق عليه الخيال . والامتداد النهائي لفلسفة ديزني هو إنشاء مدينة الاحتفال في أورلاندو ، مجتمع سكني متكامل يمكن فيه استبعاد التوترات المرتبطة بالاستقطاب الاجتماعي .

فقد تم التخطيط للاحتفال بانجاز أكثر من ٨٠٠٠ وحدة سكنية ومركز مدينة متعدد الاستخدامات مع أكثر من مليوني قدم مربع من مساحات البيع بالتجزئة التي تتضمن شققاً فوق المتاجر ومدرسة وحرم جامعي فرعي وفندقاً بالإضافة إلى مكتب . هناك فرض قاعة المدينة ذات ٢٨ عموداً وباباً ضخماً ، ولكن لا توجد حكومة بلدية - مدير المدينة هو مدير تنفيذي لشركة ديزني . يتم ضمان المطابقة المعمارية في الاحتفال من خلال كتاب نمط من ٧٠ صفحة من تصاميم المنازل مستوحاة من أنواع الأماكن الواردة في مجلة ساذرن ليفينج . يجب أن تكون الستائر التي تواجه الشارع بيضاء . لون المنزل ، ما لم يكن أبيض ، يجب ألا يتكرر داخل ثلاثة منازل على نفس الجانب من الشارع . يجب أن تحتوي ربع الحدائق الأمامية والجانبية على الأقل على بعض النباتات بجانب العشب ؛ وهلم جرا . لقد تم تخيل العديد من "التقاليد" في المدينة من قبل شركة ديزني ، بأسلوب ديزني الحقيقي . وتشمل هذه الثلوج كل ليلة من يوم بعد عيد الشكر وحتى ليلة رأس السنة الجديدة - مجموعة متنوعة من عمليات المحاكاة تقدم رؤية مشوهة للغاية للعالم . والنتيجة هي أن مباني ما بعد الحداثة المتنوعة في المدينة المعاصرة تقدم واجهة ضحلة من الثقافة (تسمى أحياناً ديزنيفيكيشن). "الثلج" يتكون من فقاعات الصابون . لمدة أسبوعين في أكتوبر ، تسقط أوراق البلوط (ملففة من ورق المناديل) من أشجار النخيل في وسط المدينة يجادل سوركين بأنه في عصر ما بعد الحداثة أصبحت المدينة ككل "متنزهاً كبيراً" واحداً .

جمالية الاستهلاك

يقال إن فعل الاستهلاك في مجتمع ما بعد الحداثة قد اكتسب أهمية أكبر بكثير من غيره . فلم يعد الوضع يعزى بالولادة : بل الناس قادرون على اختيار أنواعاً مختلفة من الهوية من خلال البضائع التي يستهلكونها . وقد وصفت هذه العملية بجمالية الاستهلاك : ما يتم إنتاجه بشكل متزايد ليس كائنات مادية بل علامات تجارية . يحدث هذا ليس فقط في تكاثر الكائنات غير المادية التي تشتمل على مكون جمالي كبير (مثل موسيقى البوب والسينما والفيديو ، إلخ) ، ولكن

أيضًا في المكون المتزايد لقيمة الإشارة أو الصورة في الكائنات المادية . جمالية الأجسام المادية يمكن أن تحدث إما في الإنتاج أو تداول واستهلاك هذه السلع .

مثال كلاسيكي للعنصر الذي أصبح أيقونة الأزياء ذات العلامات التجارية هو حذاء نايك الرياضي . تم تطوير الحذاء في البداية لارتدائه عند ممارسة الرياضة ، وأصبح رمزاً لرفض التيار الرئيسي عند تبنيه من قبل الشباب في برونكس . وكان مسوقي نايك بطيئاً في استغلال هذه القيمة الثقافية الرمزية من خلال إضافة الابتكارات مثل باطن مبطن بالهواء ، والأربطة الملونة وتجهيزات "مضخة الحركة" . إلى جانب حملة إعلانية رفيعة المستوى ، أدى ذلك إلى تحقيق أرباحا كبيرة وصعوبة كبيرة في كثير من الأحيان للعائلات الفقيرة نسبياً حيث كانت تكافح لشراء هذه الأحذية .

بالطبع ، بمجرد انتشاره في المجتمع ، فقد المنتج الكثير من ارتباطه بالتجاوز والتخريب . ومن العناصر الأساسية في نظرية ما بعد الحداثة الحديثة حول المدن ، الدور الحاسم للاستهلاك في تشكيل الهويات . كما جاء عن جاكسون ، إذ "يتم تأكيد الهويات والاعتراض عليها من خلال أعمال الاستهلاك المحددة" . يقال أنه عند شراء منتجات معينة ، لا يفرق الناس أنفسهم عن الآخرين فقط ولكنهم يجدون أيضاً وسيلة للتعبير عن الذات يمكنهم من خلالها تبنى وتجربة مع وظائف موضوعاً جديداً . وبالتالي ، يُقال (بشكل مثير للجدل إلى حد ما) أن الناس يتم تعريفهم بشكل متزايد بما يستهلكونه بدلاً من العوامل التقليدية مثل دخلهم أو طبقتهم أو خلفيتهم الإثنية .

التذكير بتفسير كولن كامبل للعلاقة بين الرأسمالية وأخلاقيات البروتستانت مفيد هنا . كانت النظرة التقليدية ، المستمدة من عمل ماكس وبيبر في رأسمالية القرن التاسع عشر ، عن نظام عقلائي مغروس بروح كالفييني ، التي تشعر بالقلق من النجاح الاقتصادي ولكن تميل إلى الزهد البارد ، نقيض الغموض والرومانسية والسحر . إذا نظرنا إلى الوراثة من أواخر القرن العشرين ، التسوق نجد سفن الرحلات البحرية السياحية ، الكازينوهات والمطاعم ذات الطابع الخاص . ريتزير ، بعد بودلارد وآخرون ، يشير إلى أهمية المشهد ، الروعة ، المحاكاة ، الحجم والحجم الكبير في الثقافة المادية المعاصرة ، ويحتج بأنها جميعها مفتاح السحر وإعادة السحر في عالم المستهلك . واحدة من أكثر المظاهر المذهلة لدور الاستهلاك المتزايد في المدن المعاصرة هو زيادة المساحة المخصصة للتسوق - ليس فقط في مراكز التسوق الضخمة في الضواحي ولكن أيضاً في مراكز المدن والأسواق التي أعيد تنشيطها . فقد تم تصميم البنية الداخلية لهذه المساحات الجديدة للاستهلاك بعناية لتشجيع الناس على إنفاق أموالهم . في محاولة لجذب الناس للإنفاق في مراكز التسوق الجديدة هذه ، هناك مناسبات خاصة ومسرح في الشارع وأشكالا معمارية أكثر إثارة .

الاستنتاجات

لقد اتضحت بعض التغييرات المعقدة العديدة في ثقافات المدن الغربية في السنوات الأخيرة . هذا التعقيد في هذه التغييرات التي جادل الكثيرون أنه أصبح من الصعب على نحو متزايد "قراءة" وفهم المدينة كمشهد ثقافي واحد . فلم تعد هناك جغرافية حضرية واحدة بل مجموعة كاملة من المناطق الجغرافية الحضرية . يقال إن المدينة أصبحت كريمة ، ليس فقط مكانياً وبنياً ، ولكن أيضاً اجتماعياً ومفاهيمياً (كل هذه العناصر مرتبطة ببعضها البعض بشكل وثيق) . ومع ذلك ، فإن إحدى الانتقادات الرئيسية لهذا العمل الملهم ثقافياً هو أنه أدى إلى التركيز على العديد من الأشكال "المحلية" للمعرفة والهوية مع إغفال الهيكل الأوسع للاقتصاد السياسي الذي تعمل فيه هذه الثقافات .

إحدى النتائج المهمة للقلق من تجنب إضفاء الطابع الثنائي على العناصر الثنائية ومعارضتها وخلقتها هي أن العديد من الجغرافيين يشككون في أنواع الخرائط والجداول التي كانت تقليدياً أساسية لجغرافية الحضر الاجتماعية ، وغالباً ما تكون معادية لها . لا يتم الوثوق بهذه الأشكال الراسخة من التمثيل لأنها تُرى كأنها تخفي علاقات القوى وتسهم في الواقع في الصور النمطية ذاتها التي يسعى الجغرافيون الثقافيون إلى تخريبها .

بدلاً من ذلك ، فإن الجغرافية الثقافية "الجديدة" تضع مخططاً أكبر بكثير للانتقال من هذه العقلانية العملية إلى "روح النزعة الاستهلاكية الحديثة" التي تعود جذورها إلى حاجة الناس إلى إنشاء مقاييس اجتماعية ذات مذاق جيد . يجادل كامبل بأن الصقل والشخصية الجيدة كان يعزى في البداية إلى الأشخاص الذين يبحثون عن الجمال والخير والسعادة ولكن سرعان ما أصبح البحث عن المتعة مرتبطاً باستهلاك السلع الكمالية الجميلة . أصبحت حياة الناس مغمورة بالأوهام وأحلام اليقظة والأوهام حول الأشياء الاستهلاكية . وهكذا برزت روح النزعة الاستهلاكية الحديثة ، التي وصفها كامبل بأنها "مذهب المتعة الوهمية" . تحت نوبة وهم الذات مذهب المتعة ، يبحث الناس باستمرار عن المتعة ، مفتونين بسلسلة من الأشياء والأفكار ، معتقدين دائماً أن المرحلة التالية ستكون أكثر إرضاءً من السابقة . هذا هو أساس "الرأسمالية الرومانسية" ، مدفوعة بالأحلام والأوهام أكثر من البروتستانتية أخلاقيات العمل .

ازدهرت الرأسمالية الرومانسية في الخمسينيات من القرن الماضي مع طفرة اقتصادية في فترة ما بعد الحرب عززها توافر بطاقات الائتمان على نطاق واسع . بدأت مجموعات الهوية التقليدية القائمة على الطبقة والعرق والعمر في التشويش حيث وجد الناس أنفسهم أكثر حرية لبناء هوياتهم وأنماط حياتهم من خلال أنماط استهلاكهم . بالإضافة إلى الأعمال التقليدية المتمثلة في الاستهلاك الموضعي ، سعى أعضاء الكسور الطبقة الجديدة ومجموعات 'neotribal' العاطفية لإثبات تميزهم من خلال الأفراد في أنماط الاستهلاك . حطم الاستهلاك الإنتاج باعتباره أهم ميدان للصراع والمنافسة الاجتماعية والثقافية والسياسية . وبفضل Fordism ، يمكن تحقيق أحلام المستهلكين بسرعة أكبر وبسهولة . انبثق السحر من القدرة على تحمل التكاليف والاختيار الناتج عن الترشيح والإنتاج الضخم . ولكن أدى هذا جدلياً إلى خيبة الأمل حيث تم تقويض الحداثة والتفرد والتميز والجادبية الرومانسية للضائع عن طريق الاستهلاك الشامل . لمواجهة هذا الاتجاه ، المنتج أصبح التصميم والتسويق المتخصص ، إلى جانب "شعراء" العلامات التجارية ، محورياً في سحر الأشياء وتجديدها . كما أوضح جورج ريتزير ، فإن السحر مضمون أيضاً من خلال مجموعة متنوعة من البيئات المتخصصة - "كاتدرائيات الاستهلاك" - الموجهة لنشر الاستهلاك وتسهيله : مراكز التسوق والمحلات التجارية والكتالوجات والامتيازات ومطاعم الوجبات السريعة ، الإنترنت والتلفزيون التركيز على الأساليب الإثنوغرافية ، وعلى وجه الخصوص المقابلات المتعمقة لتعكس تعقيد وتنوع آراء الناس .

دارسوا المدينة تختلف مواقفهم تجاه هذه القضايا . في الحدود القصوى مرتبطة حصراً إما بالأساليب الكمية أو النوعية . ومع ذلك ، ادعى أنتوني جيدينز ، أحد المعلقين الاجتماعيين البارزين في العالم ، "جميع البحوث الاجتماعية ، في وجهة نظري ، بغض النظر عن كيفية حسابها كمياً أو رياضياً ، تقترض الإثنوغرافيا" . في هذا الأمر الحاسم ، هناك حاجة إلى الأخير - إلى جانب رؤى من الأصوات "الداخلية" للمدينة - لتنفيذ سياسات جماعية منسقة للتحسين الاجتماعي . لذلك يتم استخدام الأساليب الكمية . الوريد يقترح أن مزيجاً حكيماً من كليهما الأساليب الكمية والنوعية مناسب في دراسة جغرافية الحضر الاجتماعية . يمكن أن تكشف الطرق النوعية عن تنوع الأصوات في المدينة ، لكن الخرائط والرسوم البيانية والجداول ، إذا تم عرضها مع إدراك كافٍ لقيودها ، تعد ضرورية للكشف عن صورة أوسع لثقافات المدن .